

الحرب حسمت لصالحهم بسهولة وسرعة ، كما سنرى بعد قليل - لماذا لم يلعب قانون العدد لعبته لصالح عرب فلسطين ؟ لماذا لم يكن ميزان القوى لصالحهم ؟ ولكن ، اذا تأملنا الواقع بمزيد من التدقيق ، سنتساءل : حتى العدد الفعلي ، هل كان لصالحهم ؟ ان العدد ، عندما نكون ازاء حرب ، هو العدد المعيا في الجهود الحربي ومقتضياته فقط . فلنقم ببعض حسابات تعطينا فكرة عامة وتقريبية فقط عن هذه المسألة ، مسألة العدد ، ولصالح من لعب قانون العدد بالنتيجة .

من المعروف ، لاسباب تاريخية عديدة ، منها اقتصار الثقافة والحضارة على المدينة الاسلامية ، ومنها ايضا العلاقة الطفيلية بين المدينة والريف الاسلاميين ، ان الريف الفلسطيني ، بما هو ريف عربي - اسلامي ، لا شيء سياسيا . وهذا يعني اننا يجب ان نستبعد حوالي ٧٠٪ من العدد الفلسطيني ، واذا افترضنا (والامر ليس كذلك ، بالطبع) ان جميع سكان المدن الفلسطينية ، التي يزيد سكانها عن ١٥٠٠٠ نسمة ، احرزوا قدرا مناسبيا من الوعي السياسي فجسرت تعبتتهم عسكريا ، واذا استبقينا رقميا لدى كل من الطرفين الاطفال والشيوخ ، وبالمقابل اذا عرفنا ان الريف اليهودي (ونسبته ٢٠٦٪ من عدد اليهود ، في العام ١٩٤١ - مسيس ومنظم عسكريا في الكيبوتزات بخاصة ، وان المسراة اليهودية هي ايضا معبأة في المجهود الحربي والاعمال المرتبطة به - اذا اخذنا هذا كله بعين الاعتبار نتبين ان الديشوف كانوا قادرين على تعبئة وحشد ما يتعدى ثلاثة اضعاف ما يمكن ، نظريا ، لعرب فلسطين حشده وتعبئته في الحرب والمجهود الحربي وما يرتبط بهما .

اذا ، فقانون العدد لم يكف عن لعب لعبته . ولكن ، بالنسبة لمجتمع شرقي - اسلامي ، ينبغي ان تؤخذ العطالة بالاعتبار ، وبالتالي استخراج العدد المؤهل لدخول اللعبة فقط وتشغيل قانون العدد ، ناهيك عن الخبرة العسكرية التي حصل عليها اليبشوف في الحرب العالمية الثانية وقدرته على استيعاب التقنيات العسكرية الاوروبية ، بسبب الايديولوجيا الحديثة التي يملك .

وكان من الطبيعي في ظل ميزان للقوى كهذا (الراجح عدديا لصالح اليبشوف ، ناهيك عن تفوقه على صعيدي الثقافة والوعي والتنظيم) ان يخسر عرب فلسطين معركة احباط مشروع فلسطين خلال اقل من اسبوع (وبالتحديد بين ٦ و ١١ نيسان) ، بل سيطر اليبشوف على اكثر من الرقعة التي خصصت له بموجب قرار التقسيم . ولولا العامل الدولي لكان بإمكان اليبشوف السيطرة على كل فلسطين . كما تمضي السكين في قطعة زبدة ، كانت قوة اليبشوف العسكرية تتقدم بسهولة محتلة اراضي فلسطين ، « فهزمت المقاومة الشعبية الممثلة بتشكيلات الجهاد المقدس العسكرية وباللجان القومية ، وهزمت جيش الانقاذ الذي كانت جامعة الدول العربية تنفق عليه » (١١) . وهكذا ، بعد أيام